النقد الاجتماعي رواية السجين+١٨
لمحمد بن مانع الشهري أنموذجًا

إعـــــداد

الباحثة/ منى الأسمري

باحثة ماجستير تخصص/ اللغة العربية

كلية العلوم الإنسانية- جامعة الملك خالد أبها

المملكة العربية السعودية

Email: mora071@hotmail.com

Dol: 10.21608/aakj.2023.189299.1398

تاريخ الإرسال: ٢٠٢٣/١/٢٣م

.تاريخ القبول: ٢٠٢٣/٢/١٢م

ملخص:

جاءت الدراسة بعنوان النقد الاجتماعي واخترت رواية السجين أنموذجًا والهدف المرجو من هذه الدراسة فتح المجالات النقدية حول أدب السجون لما يحتويه من معان عميقة وأهداف سامية وعبارات عظيمة وتراكيب متنوعة تحمل في طياتها تجسيد الألم ووصف العذاب والوحشة والبعد عن الأهل والأصحاب والتعبير عن أوضاعهم بكلمات صادقة لوصف مشاعرهم المختلفة وأوضاعهم الحزينة خلف قضبان الحديد وتحت قبضة السجان.

الكلمات المفتاحية: النقد الأدبي، النقد الاجتماعي، رواية السجين، أدب السجون.

Abstract:

The prisoner is a novel written by Mohamad Bin Manea Alshehri Anmothja.

The study came under the title of social criticism. I chose the prisoner Anmothja's novel as a goal to open the doors to criticize the prison literature, which contains deep meaning, various combinations superordinate goals, meaningful phrases and the description of torture, carry with them the embodiment of pain and cruelty, being away from family and friends, and express their situations by honest words to explain thier diffrent feelings and how they are in a bad situation behind the prison's iron bars and under the jailer's control.

Keywords: literary criticism, social criticism, prisoner novel, prison literature.

مقدمة الدراسة:

تعكس الرواية صورة المجتمع، وذلك بالتعبير عن أفكار وتقاليد وعادات أفراد المجتمع، وللرواية صلة وثيقة بالمجتمع، لذلك يصعب الفصل بينهما، فالنص الروائي هو المرآة العاكسة للحياة الاجتماعية، لذلك تقدم الرواية القضايا والمشاكل الاجتماعية بأسلوب فني ولغة بسيطة وذلك لإبراز أركان المجتمع ومحاولة إيجاد حلول لها.

إن تجربة السجن من التجارب الإنسانية التي توحي بدلالات عميقة، تظهر مدى الظلم الذي يقع على السجين، فالسجن هو المكان الذي يظهر غياب الديمقراطية، وتفشي ظاهرة القمع، ومصادرة حرية الفرد، فهو" الوجه المادي للقمع، أو هو القمع المعلن حين تمارس السلطة قمعًا آخر غير علني في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من خلال مؤسساتها ودوائرها وشركاتها، ومن خلال بيروقراطيتها المنظورة وغير المنظورة على حد سواء".(١)

وتحاول الرواية العربية البحث عن معنى الحرية في هذا المجتمع الذي تجتمع فيه أشكال وأساليب القهر والظلم، وقد نجحت بعض الروايات التي تناولت قصص السجون بإعادة تكوين عالم السجن من الناحية الروائية والواقعية في أشكال متنوعة من السرد، فقد صورت الروايات مظاهر الملاحقة والترويع، التحقيق واختلاق التهم، انتزاع الاعترافات والتعذيب حتى الموت، حتى أصبح ما يجري في السجون " ظاهرة أساسية من ظواهر الرواية العربية في تمردها الإبداعي على قمع الدولة التسلطية ".(٢)

وتكمن أسباب اهتمام الرواة والكتاب بتجربة السجن وجعلها مادة روائية هي: نزوع الأدب بطبيعته إلى الحرية، ورغبة المبدع في تحدي القامع، ومجابهته بسلاح الكلمة.(٣)

الدراسات السابقة:

ومن أهم الروايات التي تناولت السجن بحيث جاءت على شكل مذكرات أو يوميات جسدت لنا مظاهر القمع والألم والعنف وفقد الكرامة وفقد كل معالم الحياة الكريمة التي يحظى بها الإنسان ومنها: (الأقدام العارية) لطاهر عبد الحكيم ١٩٧٨، ثلاثية شريف حتاتة: (العين ذات الجفن المعدنية) ١٩٧٤، (جناحان للريح) ١٩٧٤، (الهزيمة) ١٩٧٨، رواية (السجن) لنبيل سليمان ١٩٦٢، (الكرنك) لنجيب محفوظ ١٩٧٤، وغيرها من الروايات التي جسدت أنواع العذاب النفسي والجسدي للسجين في عالم السجن، ومن أبرز الروايات الحديثة في أدب السجون رواية (شرق المتوسط) لعبدالرحمن منيف ٢٠٠١، رواية (تلك العتمة الباهرة) طاهر بن جلون ٢٠٠٢، رواية (تزممارت) أحمد المرزوقي ٢٠٠٩، رواية (يا صاحبي السجن) أيمن العتوم ٢٠١٢.

منهج البحث:

سيتم تطبيق المنهج النقدي الاجتماعي في هذه الدراسة، وهو المنهج الذي يهدف إلى مواجهة المنظور الاجتماعي وتحليل النصوص بالنظر إلى علاقة النص بالمجتمع، ودراسة " وضعية الاجتماع في النص لا الوضعية الاجتماعية للنص ".

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في قلة الدراسات حول هذا الموضوع إذ أن المشكلة الأساسية في هذا الجانب هو الحديث على التفاصيل الدقيقة التي تتحدث عنها الراويات والتي غفل الناقدون عن دراستها وسبر أغوارها والكشف عن معالمها المتوارية خلف الألم والمرارة.

التعريف بالمصطلحات:

تعريف النقد الاجتماعي:

فالنقد الاجتماعي هو: الاتجاه الذي يرى أن الأدب تعبيرًا عن رؤية الكاتب لما حوله من وجهة نظر تتصل بحقيقة من الحقائق، وهذه الحقيقة ليست في طبيعتها

فردية، بل اجتماعية، فطريقة التفكير عند طبقة الناس تفرض نفسها على أفراد تلك الطبقة من الكتاب فيشعرون بها ويعبرون عنها في أعمالهم الأدبية، ولكل عصر من العصور موضوعاته العامة المتصلة أوثق اتصال بالبنية الاجتماعية.(٤)

المنهج الاجتماعي: هو المنهج الذي يعتني بدراسة الظواهر الاجتماعية في بيئة الأديب وطبقته الاجتماعية، وجميع ظروف هذه البيئة الاقتصادية والفكرية والسياسية والاجتماعية، ويضيف شوقي:" وينبغي أن نلاحظ أن من يدرسون الأدب دراسة اجتماعية لا يريدون أن يتبينوا فيه انعكاسات المجتمع فحسب، فتلك مسألة بديهية، إنما يريدون أن يتبينوا ما في بيئة الأديب الاجتماعية التي ينتمي إليها وما عاش فيه من أوضاع اقتصادية ومدى استجابته لموقف طبقته وصدوره عنها في آثاره".(٥)

ومنهم من عرفه بقوله:" منهج يربط بين الأدب والمجتمع بطبقاته المختلفة فيكون الأدب ممثلًا للحياة على المستوى الجماعي الفردي باعتبار أن المجتمع هو المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية فالقارئ حاضر ذهن الأديب وهو وسيلته وغايته في آن واحد ".(٦)

تعريف الرواية:

الرواية لغة: " روى: رواوة موضع من قبل بلاد ببني مزينة، وقال في معتل: الياء روي من الماء بالكسر، ومن اللبن يروى ريا وروي أيضًا مثل رضا، وتروّى، وارتوى، كله بمعنى ".(٧)

واصطلاحًا: " الرواية شكل من أشكال القصة، والقصة تتجاوز حقل الأدب تجاوزًا كبيرًا في المقومات الأساسية لإدراكنا الحقيقة، فنحن حين نبدأ الكلام حتى موتنا محاطون بالقصص دون انقطاع، في الأسرة أولًا، ثم في المدرسة، ثم من خلال اللقاءات والمطالعات، وليس الآخرون بالنسبة إلينا ما رأيناه فيهم بأعيينا وحسب، بل هم

إلى ذلك أخبرونا به عن أنفسهم أو ما أخبرنا به غيرهم عنهم وليس كذلك أولئك، الذين عرفناهم، بل كانت الذين ترامت إلينا أخبارهم، وهذا لا ينطبق على الناس وحدهم بل ينطبق كذلك حتى على الأشياء والأماكن التي لم أذهب إليها، ولكنها وصفت لي".[٨]

والرواية هي: " بالأساس تصوير للعالم كما هو موجود، فهي عمومًا لا سيما الواقعية منها قائمة على مبدأ الواقع والمغامرة، والتناقض بين رغبة الفرد وهذا الواقع، إذ أنها سرد فني له، وذلك بخيره وشره وبجماله وقبحه ".[٩]

تمثل الرواية ظاهرة اجتماعية أو تعبر عن فرد ما أو مجتمع، وترتبط بالمجتمع ارتباطًا وثيقًا، وتتسم بالشمولية والكلية وتجمع بين الأشكال الأدبية.

تعبر رواية (السجين) عن الظلم والمعاناة في السجن والتي تعكس الأحداث الواقعية وتبرزها وفي هذا يقول في حالة تصفيق الجماهير لمدير السجن: أثناء إلقاء كلمته، يقسم الشهري الطبقات حسب استفادتهم، فأشار إلى أن بعض صفق من الخوف، " بعضهم صفق بقوة وحماسة، وآخر بقوة متوسطة، وكأنه مع القوم وإن ضلوا، وثالث ضرب بيديه ضربة أو ضربتين ثم توقف لبرهة، فإذا أحس أن أحدهم يراقبه عاد ليصفق بحرارة شديدة، وصنف قليل جدًا لم يبالوا ولم يصفقوا، بل جعلوا ظهورهم وراحوا يتأملون الجميع ".

رواد النقد الاجتماعي:

وهناك نظرية ترى إن: " الأدب ظاهرة اجتماعية، وأن الأديب لا ينتج أدبًا لنفسه وإنما ينتجه لمجتمعه منذ اللحظة التي يفكر فيها بالكتابة وإلى أن يمارسها وينتهي منها".[١٠]

ومن أبرز رواد النقد الاجتماعي: جورج لوكاتش الذي كان ينظر إلى الأدب بأنه ظاهرة تاريخية، وجذوره ضاربة في أعماق الطبقات، وعلى الناقد إيجاد القانون الذي يفسر طبيعة العلاقة بين الفن والمجتمع.[١١]

ومن رواد المنهج الاجتماعي بلخانون إذ كان من أوائل الماركسيين الذين اهتموا اهتمامًا خاصًا بربط الفكر الماركسي بالأدب والفن، إذ ألف كتاب بعنوان " الفن والحياة الاجتماعية "، كما أثر الفكر النقدي بـ" ولينين" من خلال تعليقاته وكتاباته، أما هيجل فقد نادى بفكرة اتحاد الشكل بالمضمون، وأن العالم في تناقض وتغير دائم فهو دافع لكل تطور.(١٢)

وبيرزيما وقد تجاوز مرحلة التأثير عند باختين إلى مرحلة الإضافة والابتكار والتفسير، فقد تخطى دراسة النص ودراسة المجتمع معًا، بل تعداهما إلى الاهتمام بمسألة تجسيد القضايا الاجتماعية والمصالح الجماعية في المستويات السردية والتركيبية والدلالية للنص.(١٣)

وفي النقد العربي كانت البدايات الأولى للنقد الاجتماعي على يد أحمد أمين وسلامة موسى، ثم تطور على يد لويس عوض الذي قام بالعديد من البحوث التي أبرزت مدى تأثير الحياة الاجتماعية في الأدب، ومحاولة الربط بين الأدب والسياق الاجتماعي فالأدب في نظره هو نشاط لا يمكن فصله عن المجتمع، وتتجسد وظيفته في تجديد الحياة من خلال الخلق وترقيتها.(١٤)

أما محمد أمين كانت البداية عنده متمثلة في أن الأدب للمجتمع، وإن مضمون الأثر الأدبي يعكس الواقع، ويعكس مواقف اجتماعية معينة، وأن البناء الفني ليس سوى تشكيلًا لهذا المضمون.(١٥)

خصائص النقد الاجتماعي:

يتسم النقد الاجتماعي أو المنهج الاجتماعي بعدة خصائص منها(١٦):

- لا يعلمنا النقد الاجتماعي قراءة النصوص فقط بل يعيننا ويفتح أعيننا على قراءة حياتنا وعلاقتنا بالعالم من حولنا.

- لم يعد في خضم هذا المنهج المعنى هو الموجود فقط أو المحصور في النصوص وإنما جعل مكانًا للقارئ من خلال إبراز ذاته الاجتماعية.
- هو منهج حمى النص من التلاشي والتحول إلى مجرد إضافة لسلطة معرفية أخرى.
- القراءة النقدية الاجتماعية قراءة للمسيرة والتقدم بوصفهما حاملي التغيرات الإيجابية (فالثورة الفرنسية مثلًا ما زالت نتائجها مستمرة إلى يومنا).
- وظيفة الكتابة الكشف والتعبير عن التاريخانية الاجتماعية باعتبارها حقل المسائل المتكررة.
- تعد القراءة النقدية الاجتماعية ابتكارًا وبحثًا وتأويلًا لأنها تشكل تركيبًا جديدًا بين البنى التحتية والفوقية وبين الفرد والعالم وبين الأشياء المتوارثة والمبتكرة.

منطلقات المنهج الاجتماعي:

أما منطلقات المنهج الاجتماعي فهي[١٧]:

- الأدب ظاهرة اجتماعية.
- الأديب لا ينتج أدبًا لنفسه، وإنما لمجتمعه.
- القارئ حاضر في ذهن الأديب، وهو وسيلته وغايته منذ تفكيره في الكتابة وفي أثناء ممارسته لها وعقب الانتهاء منها.
- الأديب يصدر عن أفكار طبقته وهمومها وموقفها.
- لا يطلب من الأديب أن يعكس أدبه من علاقات مجتمعه وأوضاعه فحسب بل يطلب منه أن يشارك في تكييف مجتمعه وحل مشاكله وقضاياه.
- أسبقية العوامل الموضوعية أي العوامل الخارجية المكونة للشروط الموضوعية للإبداع الأدبي.
- ضرورة الالتزام في الأدب.

مبادئ النقد الاجتماعي:

هناك عدة مبادئ يقوم عليها النقد الاجتماعي وهي:

- إن الحياة الاجتماعية مكونة من بنيتن وهما: بنية عليا وبنية دنيا، والمقصود بالبنية العليا هي النظم الثقافية والسياسية، وهي خلاصة البنية الدنيا ونتاجها في المجتمع وهي التي تحدد العلاقات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع.[١٨]
- ربط الأدب بالمجتمع، والنظر إليه على أنه لسان المجتمع، إذ يجسد الأدب صورة المجتمع والأعمال الأدبية والوثائق التاريخية والاجتماعية.(١٩)
- فهم الأدب فهمًا ماديًا، إذ تمثل كل ظاهرة من ظواهره الجانب المادي وما ينطوي تحتها من ظروف اقتصادية تشير إلى الكفاح من أجل الحياة.
- يدرس المنهج الاجتماعي مدى تأثير الجماعة في القيمة الجمالية، ويرفع قيمة الكاتب، وينظر إلى عمله بأنه عمل متعب وشاق.

عيوب النقد الاجتماعي:

لكل منهج نقدي عيوب يمكن إجمالها بما يلي:

- عدم قدرة المنهج الاجتماعي على الكشف عن الخواص النوعية للأعمال الأدبية، فهو يقتصر على رصد الظواهر ولا يدخل في أعماقها وتفاصيلها.[٢٠]
- سيطرة الجانب المادي على النقد الاجتماعي مما يسرع في القضاء على حرية الأديب.
- الاهتمام بالأعمال النثرية كالمسرحيات والقصص، وتركيز الناقد على شخصية البطل.
- اهتمام أصحاب النقد الاجتماعي بالمضمون في الأعمال الأدبية على حساب الشكل.[٢١]

القضايا النقدية في المنهج الاجتماعي:

آثار المنهج الاجتماعي العديد من القضايا النقدية وأهمها:

قضية الإلتزام، أو الفن للحياة، وهي القضية التي يقاس من خلالها جودة الإنتاج الأدبي ومدى تعبيره عن موقف صاحبه من قضايا أمته وعصره، ومدى إحساسه بمشاعر مجتمعه وتأثيره فيها.

أدب السجون: السجن لغة: السجن بالفتح: المصدر، سجن يسجنه سجنًا أي حبسه، والسجان: صاحب السجن، ورجل سجين: مسجون، والجمع: سجناء وسجنى، وفي القرآن الكريم قال تعالى: (قال ربّ السجن أحب إليّ)[٢٢]، وعند كسر السين تعني المحبس.[٢٣]

السجن اصطلاحًا هو:" ذلك المكان الحرج الضيق، الذي تنفذ فيه الأحكام على الأشخاص المذنبين، إذ يتم اعتقالهم لمدة زمنية محددة أو مؤبدة، أو لتنفيذ حكم الموت أو الإعدام بحقهم".[٢٤]

أما أدب السجون فقد تنوعت تعريفات الأدباء والباحثين ومن أبرزها:

ما ينجزه الفرد السجين داخل السجن، ويضم الشعر والمسرحية والقصة والرواية والزجل واللوحات الفنية المرسومة، باستثناء التاريخ والمقالات السياسية.[٢٥]

وعرفه السجين الروائي وليد الهودلي بقوله: " إن أدب السجون هو كل ما يكتبه السجين داخل المعتقلات، أو ما يكتبه من مذكرات بعد التحرر، أو ما كتب عنهم وعن السجون من غيرهم شعرًا ونثرًا، ويستثنى الدراسات والأبحاث والكتب في مجالات من غير الإنتاج الأدبي".[٢٦]

العوامل التي ساعدت في ظهور أدب السجون:

يوجد عوامل عديدة ساهمت في الكتابة الأدبية عند الأسرى وأهمها:

- الضغوط النفسية التي يتعرض لها السجين داخل السجن على المستوى الداخلي والخارجي، فهو يعاني من الشعور بالدونية والإحباط واليأس الشديد بسبب المعاملة القاسية من قبل السجان، وهذه المشاعر تدفع السجين إلى الكتابة فهي الفرصة الوحيدة المتاحة أمامه، ليفجر ما بداخله ويفرغ أكبر قدر من الأسى والحقد والمرارة التي يتجرعها، فيتفجر إحساسه الوجداني وينعكس على هيئة نثر أو شعر.[٢٧]

- الآثار الإيجابية التي تركتها الكتابة على واقع السجن، فقد طور الأدب من فكر السجين وثقافته، فالسجين الذي يقضي معظم سنين عمره في السجن، تتطور قدراته الكتابية والتعبيرية أيضًا تزيد الوعي لدى السجين وتعمل على إثراء تجربته الذاتية وقدراتها على تحمل المسؤولية، والكثير من المواقف والأحداث باستخدام لغة وصفية تفصيلية.[٢٨]

إذن أدى الضغط النفسي الكبير الذي يعاني منه السجين إلى الإبداع في الكتابة، ووصف مظاهر القمع والمشاعر السلبية التي تكتنف السجين، تطور الكتابة التعبيرية عند السجين وذلك بعد قضائه سنوات طوال داخل السجن، أيضًا عدم قدرة السجين على الدفاع عن نفسه جراء أسلوب رديء في التعامل من قبل موظفي السجن يدفعه للتعبير عما يجول في خاطره من خلال الكتابة، وبذلك تكون الكتابة الأدبية المتنفس الوحيد للسجين الذي يستطيع من خلاله التعبير عن ذاته وما يشعر به من أحاسيس وعواطف داخل السجن وخارجه.

موضوعات أدب السجون:

تصنف الكتابات الأدبية داخل السجون على أنها كتابات اجتماعية، فأغلب الموضوعات كانت اجتماعية بالدرجة الأولى فقد تناولت الذات والإنسان والمجتمع [٢٩]. وقد صنف الدكتور واضح الصمد كتابات السجون إلى أربعة أصناف وهي: الجوانب الذاتية، المعتقلات والتعذيب والعلاقة بالسلطة والعلاقة بالأهل.[٣٠] ويقصد بالجوانب

الذاتية: جميع ما يتعلق بالفرد السجين من حيث العاطفة والنفسية والفكر، فهذه الأمور هي الأكثر تغيرًا وتأثرًا في حياة السجين، فتبدأ مشاعر السجين بالانعكاس في الكتابات بحيث تتسم كتاباته بالصدق والبساطة، فقد تعرض لأبشع أساليب الإذلال وأصبح مسلوب الإرادة ويعيش حالة مضطربة بين الجزع والصبر واليأس والأمل.

أما المعتقلات والتعذيب فقد حظيت بأكبر قدر من الكتابة، فقد وصف الأدباء المعتقلات ووسائل التعذيب وكيفيتها بكتاباتهم وأدبهم وصفًا في غاية الدقة، فكانت من الموضوعات التي لها دور كبير في التأثير بالمتلقين، كما تطرق الكثير من السجناء إلى الحديث عن السلطة والعلاقة بينها وبينهم، كما وصفوا العالم خارج السجن، والاشتياق إلى الأهل والعائلة والأصحاب.(٣١)

يلجأ السجين إلى الكتابة الأدبية للتعبير عن ألمه ولتفريغ طاقاته السلبية، إذ تتسم في الأغلب كتاباتهم بأنها كتابات إبداعية لأنه يتعرض لأقصى تجربة داخل السجن، إذ يجد نفسه مسلوب الإرادة والحرية، يعاني من الظلم والاضطهاد والتعذيب والإذلال داخل السجن، وقد يكون متهم بجناية أو جريمة وهو بريء، أو قد يقضي أجمل أيام عمره داخل السجن ويعاني دون علمه بجريمته التي زجت به إلى هذا المكان المظلم، وقد تكون هذه الجريمة عبارة عن مخالفة بالرأي أو معارضة لأحد المسؤولين أو إبلاغ حاقد يقضي المسجون بسببه الكثير من المعاناة التي لا تنتهي.

ملخص رواية السجن-١٨

تدور أحداث الرواية في سجن الأحداث والذي يضم صغارًا في السن، ويكون بطل القصة " نبيه " الذي درس علم النفس، وقدم ورشة عمل عنوانها " الثقة بالنفس " وهي التجربة التي كان يعتبرها نبيه من أجمل التجارب التي سيقوم بها، فيدخل عالم " سجن الأحداث " وهو عالم جديد يختلف عنه اختلافًا كليًا، ويقوم بالتعرف على العاملين في السجن وعلى السجناء، يقابل نبيه أصنافًا متنوعة من الناس، فهو يواجه سجناء

تختلف قضاياهم ومشاكلهم، يكتشف خبايا العالم الجديد من سجناء وموظفين، ويختلط بهم، فيتحول من نبيه الإنسان الطيب إلى نبيه الإنسان الشرير، فيتحول إلى شخص متكبر يجد في إهانة الأحداث متعة، كما يرى التجاوزات في السجن من الأحداث والعاملين فيه، لكنه لا يكترث، ومع ذلك عندما يحدث نفسه يعود إلى نبيه الشخصية التي تحب الخير، فهو في كل مرة يحدث نفسه بترك العمل في السجن إلى أن يتحول عمله إلى التحقيق مع السجناء في السجن الانفرادي، يحاول الكاتب " محمد بن مانع الشهري " في روايته هذه الكشف عن العديد من القضايا ومن أبرزها:

الفساد الإدراي في سجون الأحداث: إذ يعد مكان سجن الأحداث هو المكان الذي يحتضن السجناء لاسيما أنهم أطفال صغار، قد تكون الظروف هي من أجبرتهم إلى هذا المآل، فلا بد من رعايتهم والاهتمام بهم، أيضًا الظلم والقسوة في التعامل مع الأحداث وعدم مراعاة سنهم أو الاهتمام لسبب انخراطهم في هذه الجرائم ومعالجتها بل يتجهون للتعنيف والضرب حتى يتسببوا بمضاعفة الألم والخوف والتشرد.

تتناول هذه الرواية قضية حساسة جدًا وهي " الواقع المؤلم للسجانين والسجون " إذ يتفشى الظلم والفساد، وما يؤلم حقًا هو أن الأطفال هم من يقبعون في هذا المكان، وقضاياهم متنوعة بين السرقة والمخدرات والشروع بالقتل وهي قضايا أسبابها الرئيسية إهمال الأسرة وسطوة المجتمع وصعوبة الحياة وقسوتها.

استطاع الكاتب المزج بين مشاعر مختلفة وهي الخوف والحب، الحق والظلم، الطيبة والقسوة، الإصلاح والفساد، الضحك والبكاء والكثير من المشاعر المتداخلة.

الرواية متشبعة بما يجري على أرض الواقع من ظلم واضطهاد، فالسجن هو المكان لإصلاح السجناء والخروج بهم من حالهم السيئ إلى أفضل حال، لكن ما حدث في هذه الرواية هو العكس تمامًا، فالسجناء يخرجون بأسوء حالاتهم وهو الواقع المؤلم المسيطر على المجتمعات العربية.

عندما يدخل نبيه هذا العالم المختلف عن كل شيء خارجه، تبدأ التحولات الجديدة في شخصيته بشكل إجباري حينما يُجبر على ممارسة السلطة القمعية حتى يصبح مثل غيره من العاملين في هذا المكان، حتى لا يستطيع الأحداث التمرد عليه أو مهاجمته أو حتى رفض أوامره، بدأ التغير الجذري في شخصيته عندما أشار إليه أحد المحققين بأنه نبيه ضابط وأمره بصفع أحد الأحداث أثناء التحقيق ليعترف بجريمة لم يقترفها !! أُجبر نبيه على فعل غريب لم يكن يألفه من قبل وكأنه بعد هذا الحدث قد قطع أخر الحبال التي توصل نبيه لشخصيته الأساسية، شخص له هيبة وجبروت وقسوة قلب ليس لها مثيل يتعمد إهانة السجناء وإذلالهم بل وضربهم ونعتهم بأقبح الألفاظ.

خلف أسوار السجون يجتمع الضعيف والقوي والصادق والكاذب المجرم والبريء، يعاملون بنفس القسوة وبنفس الجبروت لا مكان هنالك لاختلاف الظروف فالذي جمعهم هو فساد الأخلاق وضعف التربية.

يقف المدير عند السجناء ليلقي عليهم محاضرة ملوا من سماعها ونبيه يرمق الوضع من أخر الممر لا شيء يعلو صوت المدير إلا تصفيق الأحداث بعد كل جملة على الرغم من قسوة الكلام إلا أنه وجب عليهم التصفيق حتى ينجون من العقاب.

في صالة الطعام طاولات وكراسي خشبية وصحون وملاعق معدنية، يوزع عليهم الطعام بالتساوي ويأخذ كلٌ مكانه ونبيه ومن معه يراقبون الوضع، ومن يظهر أي علامة للرفض أو التجاوز على غيره فسوف يكون عقابه سجن انفرادي لا يتجاوز المترين.

عندما يحل المساء ينهي نبيه مناوبته اليومية يخرج من السجن إلى أحضان قريته وابتسامة والدته المعتادة إلى الهدوء والسكينة وطمأنينة الروح إلى أحلام الحب ووهج القلب إلى ذكرى آمال إلى الجبل وقهوته وصوت مذياعه إلى أنغام فيروز وطرب طلال مداح.

يحمل نبيه نفسه صباح اليوم التالي ليتجه إلى السجن وكله حماس ليكتشف خفايا المكان أكثر، يوزع السجناء عند الصباح الباكر إلى قسمين الأول يتوجه إلى قاعات الدراسة في السجن والثاني يتوجه للصالة الرياضية وسط استغراب نبيه كيف لصغار السن أن يتركوا مدارسهم وهم في هذا السن الصغير في سن لا يستطيعون تبين مستقبلهم فيه، آثار ذلك الأمر الألم في قلبه وظل يتساءل لماذا لا تتدخل الحكومة لتحل هذا الوضع!

يجلس نبيه في مكان مرتفع في الصالة الرياضية حتى يراقب السجناء ويبحر في تفكيره عن حالهم ومآلهم وكيف وصلوا إلى هذا الحال، يحرك بصره يمنة ويسرى فيرى لوحة كُتب عليها " الحبس الانفرادي" فيتألم لحالهم ويتذكر ما حدث في اليوم السابق بعد عراك بين السجناء يؤخذ عدد من المصابين إلى المستشفى والبقية للحبس الانفرادي حتى لا يكون هناك تحقيق أو مساءلة قانونية عما جرى، تضمد جراح أجسادهم أما جراح قلوبهم فلا علاج لها سوى الحبس بين أربعة جدران لا ضوء شمس ولا نور نهار ولا صوت بشر.

قتل وسرقة واغتصاب جرائم لأطفال لم يبلغوا الحلم، جعلت نبيه يعيش في حالة من الذهول والصدمة، كان وقع هذه الكلمات على نبيه كبير جدًا كالموت.

*<< قتل >> وأي التعابير تكون لك ندًا.

<<موت>> وأي الكلمات تستطيع الوقوف أمام معانيك*.

بينما يحدث هذا التناقض في عقل نبيه بين الرحمة والقسوة، تغلب القسوة، ففي إحدى الليالي أمر نبيه وهو جالس على كرسي أحد السجناء <مرزوق> أن يجلس على الأرض في جو شديد البرودة عند أقدامه حتى يحقق معه، كان دائمًا يحاول كشف خبايا العقل الذي يُجبر المجرم على فعل جريمته، فراح يسأل عن اسم السجين

(مرزوق) وعدد أفراد عائلته وحالتهم المادية وعن وجود الوالدين، فيُعزي أي جريمة إلى التفكك الأسري، سأل نبيه السجين عن جريمته التي لا تعدو أن تخرج عن العراك أو السرقة، فأجابه السجين بأنه مسجون لقضية أخلاقية! هنا دُهش نبيه كيف يمكن أن يحدث هذا الأمر في ضوء مجتمعاتنا المحافظة والتي لا طالما حرصت على إنكار مثل هذا الأفعال وإنكار وجودها من الأساس، وقف السجين بكل جرأة وراح يقص عليهم جريمته وكأنه البطل الذي حقق انتصارًا عظيمًا!

يتحدث مبتسمًا منتشيًا بنفسه وبفعلته الحمقاء ولم تكتمل هذا الابتسامة حينما عاد نبيه إلى الواقع وصفعه صفعةً واحدة كانت كفيلة بأن توقف شعور الانتصار بداخل السجين، حمل نفسه نبيه وخرج من المكان وفي قلبه كمد على الطفل المغدور به.

بعد مرور عدة أشهر على دوام نبيه أصبحت أيامه كسابقتها، صراعات لا تنتهي بين مناصرة الحق والباطل، حتى أصبح مثل غيره يدافع عن المجرم لأن بينهما قرابة وصلة وثيقة، حلف بالله وغش وتدليس وتغيير في مجرى الأحداث حتى يصبح المجرم بريئًا، وكأن الله لا وجود له بين تلك الأروقة، وطن للقوي دون الضعيف.

مرت الأيام ثقيلة على نبيه حتى قرر الخروج خارج حدود العمل سافر ليرح نفسه من عناء رتابة الأيام، لم يكن يعلم أن مجريات الأمور قد تتغير بين ليلة وأخرى بعد أن يعمل بحزم ويحاول أن يثبت جدارته أمام مديره وبعد ترقيته ليصبح مساعد للمدير، مرورًا بنقاط عليا ونقاط متواضعة، حصلت المفاجأة، إذ يُتهمه مرزوق بأنه أدخل له جوال وأنه يبيع الممنوعات على السجناء والأعظم من ذلك اتهمه باغتصابه عدة مرات!

وقعت الكلمات على نبيه وقع المحكوم عليه بالقصاص من هولها لم يستفيق إلا على سرير أبيض بين تكذيب ما حدث وضياع وخوف من المستقبل.

أصبح نبيه سجينًا بين جدران أربعة وتهاوت كل سلطته وانهارت معها كل معالم القوة والجبروت التي اكتسبها رغمًا عنه، عاش نبيه لحظات قاسية بجريمة لم يرتكبها، نُقل للسجن مُكبلًا بالسلاسل بعد التحقيق معه وسط ذهول وخوف من المكان والزمان والأشخاص، أُقتيد إلى العنبر وسط جو غريب يعتليه أصوات السجناء ورائحة الشاي وعالم غريب لا يعرفه.

جنود وعسكر وسيارة فان ومحكمة وقاضي وأوراق، اتهام بالخيانة ومحاولة دفاع عن النفس، يعود السجين والأوراق بطلب لإعادة التحقيق، تعذيب وضرب وركلات متتابعة وإهانة وسجن انفرادي، لكن لا خوف هذه المرة من المكان لأنه أصبح مألوفًا له، تهديد من الضابط لكي يعترف بما لم يفعله وكأن الزمن يُعيد نفسه حينما كانوا يُجبرون الأحداث على الاعتراف بما لم يفعلوه.

خرج نبيه للحرية للعالم الخارجي للعالم الذي ولد فيه بهدوئه وسكينته إلى جبله وصوت أمه إلى صلواته وصوت مذياعه إلى عُزلته التي أحبها كثيرًا.

تطور شخصية نبيه من خلال الرواية:

تحولت شخصية نبيه تحول واضحًا خلال أحداث الرواية ولعل هذا التحول كان نتيجة اختلاف المكان والأشخاص والأحداث التي مرت به، إذ مرت شخصيته بتحولات واضحة تدرجت عبر أحداث الرواية مسايرةً الظروف والمكان، إذ كان نبيه في بداية الرواية شخص هادئ يُحب العزلة والجلوس بمفرده، يعيش لحظات هدوءه ليلًا وحيدًا فوق الجبل بين أوراقه وحاسوبه ومذياعه، يروقه في المنزل صوت أمه ورائحة الخبز والبخور، صوت أوراق الصحف عندما يقرأها والده بعد الفجر، ثم انتقل الكاتب بشخصية نبيه لمستوى أعلى قليلًا حينما استلم وظيفته إذ كانت تميل للخوف والاستنكار والاضطراب ثم شخصية مستكشفة للمكان والأشخاص والأحداث الغريبة في محاولات جادة لمعرفة خفايا الأمور لكن بطريقة تفكيره، ثم مع مرور الوقت والتعود على المكان تتحول الشخصية إلى شخصية قاسية القلب، ظالمة، مستبدة تُحب الإذلال

والتعذيب والضرب والوحشية، ثم شخص يمل ويضيق من حياة السجون فيهرب بالسفر إلى بيروت حيث يجد هناك متنفسًا لا يجده في مكان آخر، جبال وبحر وسهرة في مطعم راقي على إيقاعات شامية بعيدًا عن ضجيج الحياة، ثم يؤول الوضع به ليصبح متهمًا مظلومًا مقيد الحرية، ضعيفًا لا يسمع أحدًا شكواه ولا يعينه على مرارة الظلم ثم تنفرج هذه الضائقة في نهاية الرواية ليعود حرًا طليقًا، خارج حدود السجن والسجان.

ولعل هذه التغيرات جاءت بشكل واضح نتيجة تغير حياته وانتقاله من هدوء القرية إلى ضوضاء المدينة، ومن هدوء منزله إلى ظلمات السجون.

الخاتمة:

إن الباحث في هذا الموضوع على الرغم من الجماليات النصية الإبداعية الموجودة في تلك النصوص إلا أن الباحث فيها يجد الكثير من الألم التي تحمله سطور روايات السجن والمساجين، ولا تدعي الباحثة أنها ألمت بكل ما دار من أحداث داخلها ولكنها محاولة المقل ولعلها تكون خطوات بينة لمن يبحث في هذا الموضوع العميق الذي لا تعبر عنه الكلمات المفردة في صفحات قليلة، مواضيع عديدة تنطوي تحت هذا الأدب من مشاعر وأحاسيس وآلام ومواقف عديدة لا تنتهي.

النتائج ومناقشتها:

١- إن أدب السجون مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمجتمع، إذ أنه المرآة التي تظهر لنا نتاج المجتمعات التي يعاني أفرادها من الفشل الأسري والدراسي والوظيفي، ويعاني أفرادها من صعوبة العيش في وسط المجتمعات التي تمتاز باختلاف الطبقات الاجتماعية، فبالتالي ينتج نوع من النفور من الحياة الواقعية التي تقود الأشخاص إلى الجريمة بحجة التعايش مع الطبقية، ولقد كان الظلم هو الجانب السائد على أدب السجون لما يعانيه المسجون من الاضطهاد والاحتقار داخل السجون فيخرج لنا السجين كل المشاعر المختلطة التي يعانيها خلف القضبان.

٢- إن أدب السجون أدب واقعي وصفي فيه خلق أدبي ووحدة عضوية وبنيوية متكاملة تجمع بين الواقع الاجتماعي والواقع الأدبي، ذلك لأن هذا العمل الأدبي يستنبط الاختلافات الاجتماعية التي يُخلق الأدب فيها إذ يجمع بين الاختلافات الهائلة بين حياة الأسر والضيق والذلة وبين الحرية والكرامة.

٣- أهمية دراسة أدب السجون من الجوانب النقدية المختلفة، ولعل النقد المنهجي هو أقرب المناهج لهذا النوع من الروايات حيث أنه يدرس علاقة الأدب بالمجتمع والمجتمع بالأدب وما يكون فيه عبارات تجسد لنا الاختلاف الثقافي والسياسي والاقتصادي وغيرها من الاختلافات التي تعتبر نتاجًا واضحًا للعلاقة الجدلية بين أفراد المجتمع الخارجي والداخلي في السجون.

٤- إن أدب السجون هو أرقى الأنواع الأدبية لذا لابد أن نوجد جيلًا من النقاد الذين يعنون بتطبيق المناهج النقدية على اختلافها على هذا الأدب، المناهج التي تعني بالنص عناية تامة، تهتم لتراكيبه وأبنيته وتفسيره تفسيرًا يهتم بجماليات النصوص من الناحية التعبيرية والجمالية والخيالية والخلق الأدبي والفني والبُنى الداخلية والخارجية للنصوص.

التوصيات:

توصي الباحثة بأن يتم دراسة أدب السجون من الجانب النقدي وتطبيق مناهج النقد المختلفة على أدب السجون وذلك للكشف عن ما يحتويه الجانب الفني والإبداعي والجمالي في النصوص الأدبية، ووصف الأحداث على اختلافها وارتباطها الوثيق بالمجتمع وعلاقتها الوطيدة بالأفكار المجتمعية.

وبعد فإن أصبت فهذا بفضل الله وكرمه وتوفيقه، وحسبي أني اجتهدت، وإن كانت دون ذلك فإني استغفره من الخطأ والذلل وله الحمد والمنة في الأولى والآخرة.

الهوامش

(١) سمر روحي الفيصل، السجن السياسي في الرواية العربية، جروس برس، طرابلس، ط٢، ١٩٩٤، ص ٢٨٧.

(٢) جابر عصفور، مواجهة الإرهاب " قراءات في الأدب العربي المعاصر " دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص ٥٩.

(٣) ينظر: عمار علي حسن، النص والسلطة والمجتمع " القيم السياسية في الرواية العربية "، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة ط١، ٢٠٠٢، ص ١٨٠.

(٤) ينظر: محمد صادق قنيبي، دراسات عربية في النقد والأدب الحديث، تاريخ ومدارس ونصوص أدبية، دار كنوز معرفة، الأردن، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، ص ٤٩.

(٥) البحث الأدبي، ص ١٠١.

(٦) صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث قضاياه ومنهجه، منشورات جامعية التتابع من أبريل، ط١، ١٤٢٦هـ، ص ٤٤-٤٥.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ج٢٠، ص ١٧٨٤، باب (روي).

(٨) خليل رزق، تحولات الحبكة، مقدمة لدراسة الرواية العربية، لبنان، ط١، ١٩٩٨، ص ٧.

(٩) إبراهيم سعدي، دراسات ومقالات في الرواية، منشورات السهل، ٢٠٠٩، ص ٨٩.

(١٠) بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٦، ص ٦٥.

(١١) ينظر: سمير حجازي، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر مع ملحق قاموس المصطلحات الأدبية، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص ٨٦.

(١٢) حسين الحاج حسن، النقد الأدبي، في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيوت، ١٩٩٠، ص ٦٦.

(١٣) ينظر: صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث قضاياه ومنهجه، مرجع سابق، ص ٦٨.

(١٤) ينظر: سمير حجازي، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر مع ملحق المصطلحات، مرجع سابق، ص ٨٦.

(١٥) ينظر: المرجع السابق، ص ٩٤.

(١٦) عثمان موافي، مناهج النقد المعاصر، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الأزاريطة، ط١، ٢٠٠٨، ص ٨٧.

(١٧) محمد أديوان، النص والمنهج، دار الأمين، الرباط، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٥.

(١٨) محمد صايل حمدان، قضايا النقد الحديث، دار الأمر للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٩٩١، ص ١٠٠.

(١٩) ينظر: وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٧، ص ٣٩.

(٢٠) ينظر: صلاح فضل، في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٧، ص ٤٠.

(٢١) ينظر: سعد أبو الرضا، النقد الأدبي الحديث: أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة، رؤية إسلامية، د.ت، ص ٧٤.

(٢٢) سورة يوسف، الآية (٣٣).

(٢٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سجن).

(٢٤) أحمد الحصري، السياسة الجزائية في فقه العقوبات الإسلامي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣، ص ٣٨٨-٣٨٩.

(٢٥) شيرين محمد حسن سليمان، دراسة تحليلية لنماذج روائية من أدب السجون، جامعة القدس، فلسطين، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ص ١.

(٢٦) رأفت حمدونة، أدب السجون التعريف والمميزات، الموقع الإلكتروني:
- http://alasra.ps/ar/uploads/documents/c707df83f435cfed7d81da4891e76eac.pdf .p4.

(٢٧) ينظر: سلمان جاد الله، من أجل تربية بحجم التحديات أدب المواجهة منابع أدب الحركة الأسيرة الوطنية، مخطوطة / نفحة ١٩٩١/ إصدار جمعية الأسرى والمحررين، غزة، فلسطين، ٢٠٠٠، ص ٣١.

(٢٨) ينظر: المرجع السابق، ص ٤٧.

(٢٩) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣٠) ينظر: واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م ، ص ٢٠٣.

(٣١) ينظر: المرجع السابق، ص ٢٠٤.

المصادر والمراجع:

- حسين الحاج حسن، النقد الأدبي، في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٠م.
- واضح الصمد، السجون وآثارها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- عمار علي حسن، النص والسلطة والمجتمع " القيم السياسية في الرواية العربية "، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة ط١، ٢٠٠٢م.
- سلمان جاد الله، من أجل تربية بحجم التحديات أدب المواجهة من أبعاد بالحركة الأسيرة الوطنية، مخطوطة / نفحة ١٩٩١/ إصدار جمعية الأسرى والمحررين، غزة، فلسطين، ٢٠٠٠م.
- صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث قضاياه ومنهجه، منشورات جامعية التتابع من أبريل، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.
- عثمان موافي، مناهج النقد المعاصر، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الازاريطة، ط١، ٢٠٠٨م.
- بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٦م.
- محمد صادق قنيبي، دراسات عربية في النقد والأدب الحديث، تاريخ ومدارس ونصوص أدبية، دار كنوز معرفة، الأردن، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- محمد أديوان، النص والمنهج، دار الأمين، الرباط، ط١، ٢٠٠٦م.
- صلاح فضل، في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٧م.
- محمد صايل حمدان، قضايا النقد الحديث، دار الأمر للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٩٩١م.

- سعد أبو الرضا، النقد الأدبي الحديث: أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة، رؤية إسلامية، د.ت.
- خليل رزق، تحولات الحبكة، مقدمة لدراسة الرواية العربية، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
- إبراهيم سعدي، دراسات ومقالات فيا لرواية، منشورات السهل، ٢٠٠٩ م.
- سمر روحي الفيصل، السجن السياسي في الرواية العربية، جروسبرس، طرابلس، ط٢، ١٩٩٤م.
- جابر عصفور، مواجهة الإرهاب " قراءات في الأدب العربي المعاصر " دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣ م.
- أحمد الحصري، السياسة الجزائية في فقه العقوبات الإسلامي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.
- شيرين محمد حسن سليمان، دراسة تحليلية لنماذج روائية من أدب السجون، جامعة القدس، فلسطين، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.

المواقع الإلكترونية:

- http://alasra.ps/ar/uploads/documents/c707df83f435cfed7d81da4891e76eac.pdf